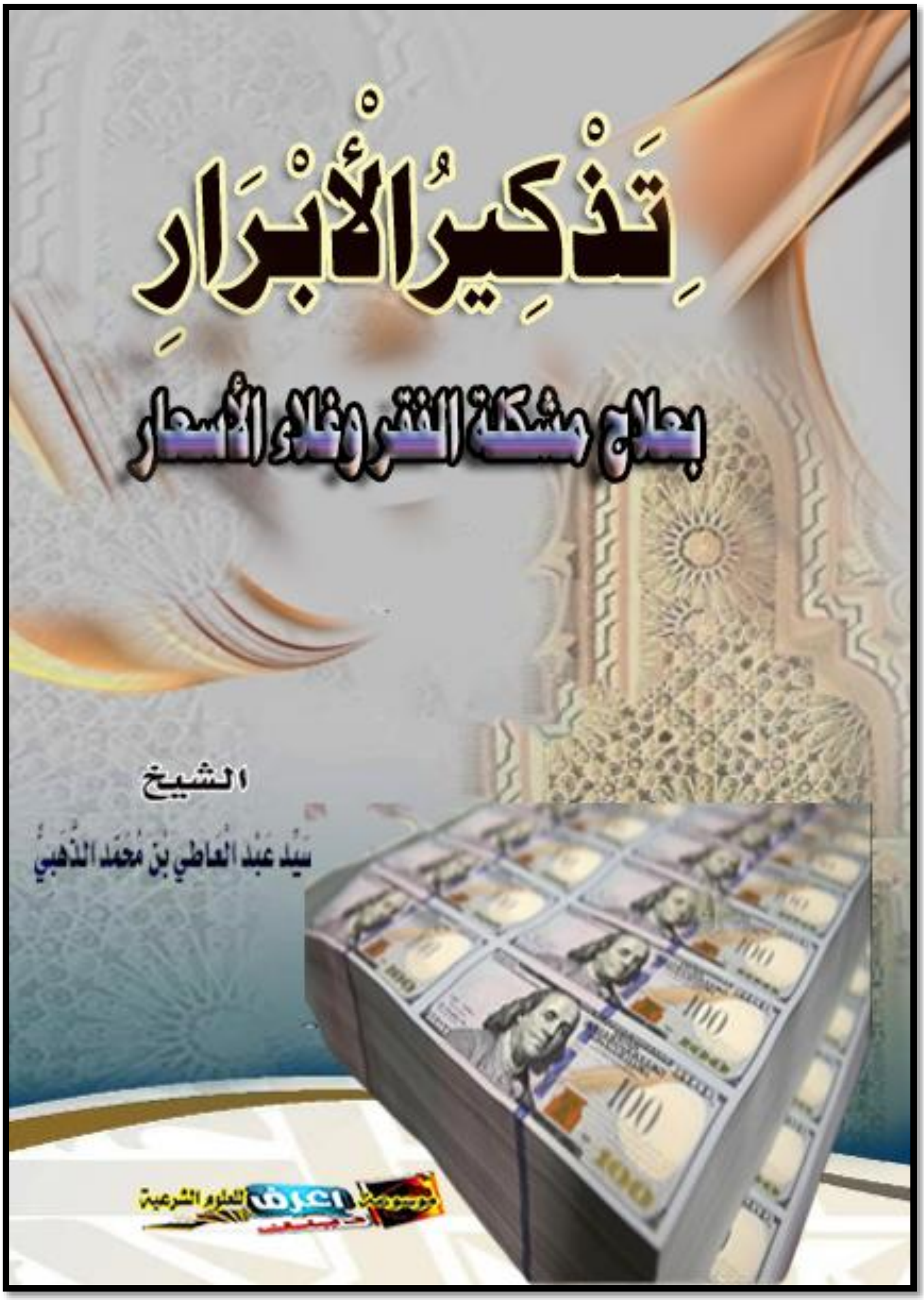

تَذْكِيرُ الأَبْرَارِ
بعلاج مشكلة الفقر وغلاء الأسعار
الشيخ
سَيِّد عبد العَاطي بن مُحَمَّد الذَّهبيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

تَذْكِيرُ الأَبْرَارِ

بعلاج مشكلة الفقر وغلاء الأسعار

الشيخ

سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي



بسم الله الرحمن الرحيم



الْحَمْدُ للّه الّذي تَكَفّلَ بأرْزَاق الْخَلَائق أجْمَعين،وَأظْهَرَ غِناهُ للعَالَمين،وَأشْهَدُ أنْ لَا إلَهَ إلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ مَجّدَ نَفْسَهُ وَأَثْنَى عَلَى كَمَالِ غِنَاهُ وَافْتِقَارِ الْخَلْقِ إلَيْه فَقَالَ:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنّ اللّهَ هُوَ الرّزّاقُ ذُو الْقُوّةِ الْمَتِينُ}.(الذّاريات:٥٦-٥٨).

وَأشْهَدُ أنّ نَبِيّنَا وَقُدْوَتَنَا مُحَمّدًا عَبْدُ اللّه وَرَسُولُهُ أكْمَلُ النّاسِ تَوكُّلًا،وَأعْظَمُهُمْ زُهْدًا،صَلّ اللّهُمّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِه وَأصْحَابِهِ وَأتْبَاعِهِ وَسَلّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إلَى يَوْمِ الدّينِ.

أمّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللّهُ وَإيّاكَ-رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ فِيهَا بَيَانٌ لِكَيْفِيّةِ مُعَالَجَةِ الْإسْلَامِ لِأزْمَةِ الْفَقْرِ وَغَلَاءِ الْأسْعَارِ

وَسَمّيْتُهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ(تَذْكِيرُ الْأبْرَارِ بِعِلَاجِ مُشْكِلَةِ الْفَقْرِ وَغَلَاءِ الْأسْعَارِ)وَمِنَ الْمَعْلُومِ أنّ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُهِمّةَ تَحْتَاجُ إلَى تَمْهِيدٍ فَأقُولُ مُمَهّدًا:

•إنّ الابْتِلَاءَ سُنّةٌ جَارِيَةٌ مِنْ سُنَنِ الله تَعَالَى،فَهُوَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ عِبَادَهُ وَجَعَلَهُمْ خُلَفَاءَ الْأرْضِ،وَأجْرَى عَلَيْهِمْ سُنّةَ الْابْتِلَاءِ لِيَسْتَخْرِجَ مِنْهُمْ جَمِيعَ أنْوَاعِ الْعُبُودِيّةِ لَهُ سُبْحَانَهُ،فَيَبْتَلِيهِمْ بِالسّرّاءِ لِيَسْتَخْرِجَ عِبَادَةَ الشُّكْرِ،وَيَبْتَلِيهِمْ بِالضّرّاءِ لِيَسْتَخْرِجَ عِبَادَةَ الصّبْرِ،وَيَبْتَلِيهِمْ بِالْأمْرِ وَالنّهْيِ لِيَسْتَخْرِجَ عِبَادَةَ السّمْعِ وَالطّاعَةِ،وَيَبْتَلِيهِمْ بِالشّهَوَاتِ لِيَنْظُرَ مَنْ يَمْتَثِلُ مِمّنْ يَتّبِعُ شَهَوَاتِ نَفْسِهِ،وَيَبْتَلِيهِمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ لِيَعْلَمَ مَنْ يَخَافُهُ

بِالْغَيْبِ فَيَقِف عِنْدَ حُدُودِ اللهِ مِمَّنْ لَا يُبَالِي بِذَلِكَ،وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ نَغَّصَ عَلَيْهِمُ الدُّنْيَا،وَكَدَّرَهَا عَلَيْهِمْ؛لِئَلَّا يَسْكُنُوا إِلَيْهَا

،وَلَا يَطْمَئِنُوا بِهَا،لِيَرْغَبُوا فِي دَارِ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ عِنْدَ رَبِّهِمْ فِي الْجَنَّةِ،فَسَاقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ بِسِيَاطِ الابْتِلَاءِ وَالاخْتِبَارِ وَالامْتِحَانِ، فَمَنَعَهُمْ لِيُعْطِيَهُمْ،وَابْتَلَاهُمْ لِيُعَافِيَهُمْ،وَأَمَاتَهُمْ لِيُحْيِيَهُمْ.



-وَإِلَيْكَ بَعْضُ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى سُنَّةِ الْابْتِلَاءِ :

(١)قَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}.

(البقرة:١٥٧:١٥٥).

-أَيْ:وَلَنَخْتَبِرَنَّكُمْ بِشَيءٍ يَسِيرٍ مِنَ الْخَوْفِ، وَمِنَ الْجُوعِ، وَبِنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ بِتَعَسُّرِ الْحُصُولِ عَلَيْهَا، أَوْ ذَهَابِهَا، وَمِنَ الْأَنْفُسِ: بِالْمَوْتِ أَوِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَبِنَقْصٍ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ وَالْحُبُوبِ، بِقِلَّةِ نَاتِجِهَا أَوْ فَسَادِهَا. وَبَشِّرْ -أَيُّهَا النَّبِيُّ- الصَّابِرِينَ عَلَى هَذَا وَأَمْثَالِهِ بِمَا يُفْرِحُهُمْ وَيَسُرُّهُمْ مِنْ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.



(٢)وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}.(البقرة:٢١٤).

-قَالَ الْعَلّامَةُ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْن نَاصِرٍ السّعْديُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى-في تَفْسيرِهَا:{يُخْبرُ تَبَارَكَ وتَعَالَى أنّهُ لَا بُدّ أنْ يَمْتَحِنَ عِبادَهُ بالسّرّاءِ وَالضّرّاءِ وَالْمَشقّة كَمَا فَعَلَ بمَنْ قَبْلَهُمْ، فَهِيَ سُنّتُهُ الْجَارِيَة، الّتِي لَا تتغيّرُ وَلَا تتبدّلُ، أنّ مَنْ قَامَ بدينه وَشَرْعِه، لَا بُدّ أنْ يَبْتَلِيَهُ، فَإنْ صَبَرَ عَلَى أمْرِ الله، وَلَمْ يُبَالِ بالْمَكَارِه الْوَاقِفَة فِي سَبِيلِه، فَهُوَ الصّادِقُ الّذِي قَدْ نَالَ مِنَ السّعَادَة كَمالَهَا، وَمِنَ السّيَادَة آلَتَهَا ، وَمَنْ جعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ كَعَذَابِ الله، بأنْ صَدّتْهُ الْمَكَارِهُ عَمّا هُوَ بِصَدَدِه، وَثَنَتْهُ الْمِحَنُ عَنْ مَقْصِدِه، فَهُوَ الْكَاذِبُ فِي دَعْوَى الإيمَان، فَإنّهُ لَيْسَ الْإيمَانُ بالتّحَلّي وَالتّمَنّي، وَمُجَرّدُ الدّعَاوَى، حَتّى تُصَدّقَهُ الْأعْمَالُ أوْ تُكَذّبَهُ ، فَقَدْ جَرَى عَلَى الْأُمَمِ الْأقْدَمِينَ مَا ذَكَرَ اللهُ عَنْهُمْ (مَسّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ) أيْ: الْفَقْرُ (وَالضّرّاءُ) أيْ: الْأمْرَاضُ فِي أبْدَانِهِمْ (وَزُلْزِلُوا) بأنْوَاعِ الْمَخَاوِفِ مِنَ التّهْدِيدِ بِالْقَتْلِ، وَالنّفْيِ، وَأَخْذِ الْأمْوَالِ، وَقَتْلِ الْأحِبّة، وَأنْوَاعِ الْمَضَارّ حَتّى وَصَلَتْ بِهِمُ الْحَالُ، وَآلَ بِهِمُ الزّلْزَالُ، إلَى أن اسْتَبْطَأوا نَصْرَ الله مَعَ يَقِينِهِمْ به ، وَلَكِنْ لشِدّة الْأمْرِ وَضِيقِه قَالَ (الرّسُولُ وَالّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّه) ، فَلَمّا كَانَ الْفَرَجُ عِنْدَ الشّدّة، وَكُلّمَا ضَاقَ الْأمْرُ اتّسَعَ، قَالَ تعَالَى: (أَلَا إنّ نَصْرَ اللّه قَرِيبٌ) فَهَكَذَا كُلُّ مَنْ قَامَ بالْحَقّ فَإنّهُ يُمْتَحَنُ ، فَكُلّمَا اشْتَدّتْ عَلَيْه وَصَعُبَتْ، إذَا صَابَرَ وَثَابَرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْه انْقَلَبَتْ الْمِحْنَةُ فِي حَقّه مِنْحَةً، وَالْمَشَقّاتُ رَاحَات، وَأعْقَبَهُ ذَلِكَ، الانْتِصَارُ عَلَى الْأعْدَاءِ وَشِفَاءُ مَا فِي قَلْبِه مِنَ الدّاءِ}.



(٣)وَقَالَ اللهُ تعَالَى:{ثُمّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مّن بَعْدِ الْغَمّ أَمَنَةً نّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنّونَ باللّه غَيْرَ الْحَقّ ظَنّ الْجَاهِلِيّة يَقُولُونَ هَل لّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنّ الْأَمْرَ كُلّهُ لِلّه يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصّدُورِ }.(آل عمران:١٥٤).

-فَهَذَا مَشْهَدٌ إيمانيٌّ خلَال معْركة بدْرٍ يُوضّحُ سُنّةَ الْابْتلَاء في تَمْحيص الْقُلُوب ومعْنى الْآيَة: أيْ:ثُمّ كَانَ منْ رَحْمَة الله بالْمُؤْمنينَ الْمُخْلصينَ أنْ ألْقَى في قُلُوبهمْ منْ بَعْد مَا نَزَلَ بهَا منْ هَمٍّ وغَمٍّ اطْمئْنَانًا وَثقَةً في وَعْد الله، وكَانَ منْ أثَره نُعَاسٌ يَغْشي طَائفَةً منْهُمْ، وَهُمْ أهْلُ الْإخْلَاص وَالْيَقين، وطَائفَةٌ أُخْرَى أهَمّهُمْ خلَاصُ أنْفُسهمْ خاصّةً، وضَعُفَتْ عَزيمَتُهُمْ وَشُغلُوا بأنْفُسهمْ، وأسَاؤُوا الظّنّ بربّهمْ وَبدينه وبَنَبيه، وَظَنُّوا أنّ اللهَ لَا يُتمُّ أمرَ رَسوله، وأنّ الْإسْلَامَ لَنْ تَقُومَ لَهُ قَائمَة، ولذَلكَ تَرَاهُمْ نَادمينَ عَلَى خُرُوجهمْ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ لبَعْضٍ: هَلْ كَانَ لَنَا منَ اخْتيَارٍ في الْخُرُوجِ للقتَال؟ قُلْ لَهُمْ -أَيُّهَا الرّسُولُ- : إنّ الْأمْرَ كُلّهُ لله، فَهُوَ الّذي قَدّرَ خُرُوجَكُمْ ومَا حَدَثَ لَكُمْ،وهُمْ يُخْفُونَ في أَنْفُسهمْ مَا لَا يُظْهرُونَهُ لَكَ منَ الْحَسْرَة عَلَى خُرُوجهمْ للقتَال، يَقُولُونَ: لَوْ كَانَ لَنَا أَدْنَى اخْتيَارٍ مَا قُتلْنَا هَاهُنَا. قُلْ لَهُمْ: إنّ الْآجَالَ بيَد الله، ولَوْ كُنْتُمْ في بُيُوتكُمْ، وَقَدّرَ اللهُ أنّكُمْ تَمُوتُونَ، لَخرَجَ الّذينَ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهمُ الْمَوْتَ إلَى حَيْثُ يُقْتَلُونَ، وَمَا جَعَلَ اللهُ ذَلكَ إلّا ليَخْتبرَ مَا في صُدُوركُمْ منَ الشّك وَالنّفَاق، وليَميزَ الْخَبيثَ منَ الطّيّب، وَيُظْهرَ أمْرَ الْمُؤْمن منَ الْمُنَافقِ للنّاسِ في الْأقْوَال وَالْأفْعَال. وَاللهُ عَليمٌ بمَا في صُدُورِ خَلْقه، لَا يَخْفَى عَلَيْه شَيءٌ منْ أُمُورهمْ.



(٤)وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{الم (١)أَحَسبَ النّاسُ أَن يُتْركُوا أَن يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢)وَلَقَدْ فَتَنّا الّذينَ من قَبْلهمْ فَلَيَعْلَمَنّ اللّهُ الّذينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنّ الْكَاذبينَ}. (العنكبوت:٣:١).

-قَالَ الْعَلّامَةُ عَبْدُ الرّحْمَن بْن نَاصرٍ السّعْديُّ-رَحمَهُ اللهُ تَعَالَى-في تَفْسيرهَا:{يُخْبرُ تَعَالَى عَنْ تَمَامِ حكْمَته وَأنّ حكْمَتَهُ لَا تَقْتَضي أنّ كُلّ منْ قَالَ (إنّهُ مُؤْمنٌ) وَادّعَى لنَفْسه الْإيمَانَ، أنْ يَبْقَوْا في حَالَة يَسْلَمُونَ فيهَا منَ الْفتَنِ وَالْمحَن، ولَا يعْرضُ لَهُمْ مَا يُشَوّشُ عَلَيْهمْ إيمَانَهُمْ وَفُرُوعَهُ، فَإنّهُم لَوْ كَانَ الْأمْرُ كَذَلكَ، لَمْ يَتميّزْ الصّادقُ منَ الْكَاذب،

وَالْمُحقّ من الْمُبْطِلِ، وَلَكِنّ سُنّتَهُ وَعَادَتَهُ فِي الْأَوّلِين وَفِي هَذِه الْأُمّة، أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ بِالسّرّاء وَالضّرّاءِ، وَالْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَط وَالْمَكْرَه، وَالْغنى وَالْفقْر، وَإِدَالَة الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَان، ومُجَاهَدَة الْأَعْدَاء بِالْقَوْل وَالْعَمَلِ ونَحو ذَلك من الْفِتَنِ، الّتِي تَرْجِعُ كُلّهَا إِلَى فِتْنَةِ الشُّبُهَاتِ الْمُعَارِضَة للعقيدَة ، وَالشّهوَاتِ الْمُعَارِضَة للإِرَادَة

،فَمَنْ كَانَ عِنْدَ وُرُود الشُّبُهَات يَثْبُتُ إِيمَانُهُ وَلَا يتزَلْزَلُ، وَيَدْفَعُهَا بِمَا مَعَهُ مِن الْحَقّ وَعِنْدَ وُرُود الشّهوَات الْمُوجِبَة وَالدّاعِيَة إِلَى الْمَعَاصِي وَالذّنُوب، أَوْ الصّارِفَة عَنْ مَا أَمَرَ اللّهُ بِه وَرَسُولُهُ، يَعْمَلُ بِمُقْتَضَى الْإِيمَان، وَيُجَاهِدُ شَهْوَتَهُ، دَلّ ذَلِكَ عَلَى صِدْق إِيمَانه وَصِحّته ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَ وُرُود الشُّبُهَات تُؤَثّرُ فِي قَلْبِه شَكًّا وَرَيْبًا، وَعِنْدَ اعْتِرَاضِ الشّهَوَات تَصْرِفُهُ إِلَى الْمَعَاصِي أَوْ تَصْدِفُهُ عَنِ الْوَاجِبَات، دَلّ ذَلِكَ عَلَى عَدَمِ صِحّة إِيمَانه وَصِدْقه ، وَالنّاسُ فِي هَذَا الْمَقَام دَرَجَاتٌ لَا يُحْصِيهَا إِلّا اللّهُ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، فَنَسْأَلُ اللّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبّتَنَا بِالْقَوْلِ الثّابِت فِي الْحَيَاة الدّنْيَا وَفِي الْآخِرَة، وَأَنْ يُثَبّتَ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِه، فَالابْتِلَاءُ وَالامْتِحَانُ لِلنُّفُوسِ بِمَنْزِلَةِ الْكِيرِ، يُخْرِجُ خَبَثَهَا وَطَيّبَهَا}.



(٥)وقَالَ اللهُ تَعَالَى:{وَلَنَبْلُوَنّكُمْ حَتّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ }. (محمّد:٣١).

-قَالَ الْعَلّامَةُ عَبْدُ الرّحْمَن بْن نَاصِرِ السّعْدِيّ-رَحِمَهُ الله تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ثُمّ ذَكَرَ أَعْظَمَ امْتِحَان يَمْتَحِنُ بِه عِبَادَهُ، وَهُوَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، فَقَالَ: { وَلَنَبْلُوَنّكُمْ } أَيْ: نَخْتَبِرُ إِيمَانَكُمْ وَصَبْرَكُمْ، { حَتّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصّابِرِين وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ } فَمَنِ امْتَثَلَ أَمْرَ الله وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله لِنَصْرِ دِينِه وَإِعْلَاء كَلِمَتِه فَهُوَ الْمُؤْمِنُ حَقًّا ، وَمَنْ تَكَاسَلَ عَنْ ذَلِكَ ، كَانَ ذَلِكَ نَقْصًا فِي إِيمَانِه}.



(٦)وقَالَ اللهُ تعَالَى:{تبارَكَ الّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)الّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}.(الملك:٢:١).

-فقَوْلُهُ{الّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}. أيْ: قَدّرَ لعِبَادِه أنْ يُحيِيهُمْ ثُمّ يُمِيتهُم؛ { لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } أيْ: أخْلَصهُ وأَصْوبُه، فَإنّ اللهَ خَلَقَ عبادَهُ، وأخْرجَهُمْ لِهَذِه الدّارِ، وأَخْبرَهُمْ أنهُمْ سَيُنْقَلُون منْهَا، وَأَمَرَهُمْ ونَهَاهُم، وَابْتَلَاهُمْ بالشّهَوَاتِ الْمُعَارِضَةِ لأمْرِه، فَمَنِ انْقَادَ لأمْرِ اللهِ وَأحْسَنَ الْعَمَلَ، أحْسَنَ اللهُ لَهُ الْجزَاءَ في الدّارَيْنِ، ومَنْ مَالَ مَعَ شَهَوَاتِ النّفْسِ، ونَبَذَ أمْرَ اللهِ، فَلَهُ شَرُّ الْجزَاءِ،{ وَهُوَ الْعَزِيزُ }الّذِي لَهُ الْعِزّةُ كُلُّهَا، الّتِي قَهَرَ بِهَا جَمِيعَ الْأشْيَاءِ، وَانْقَادَتْ لَهُ الْمَخْلُوقَاتُ ، { الْغَفُورُ } عَنِ الْمُسِيئِينَ وَالْمُقَصّرِينَ وَالْمُذْنِبِينَ، خُصُوصًا إذَا تَابُوا وَأَنَابُوا، فَإنّهُ يَغْفِرُ ذُنُوبَهُمْ، وَلَوْ بَلَغَتْ عَنَانَ السّمَاءِ، ويَسْتُرُ عُيُوبَهُمْ، وَلَوْ كَانَتْ مِلْءَ الدّنْيَا.



(٧)وقَالَ اللهُ تعَالَى:{إِنّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}.(الإنسان:٢).

-قَالَ الْعَلّامَةُ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ نَاصِرٍ السّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{ثُمّ لَمّا أرادَ اللهُ تعالَى خلْقَهُ، خلَقَ أباهُ آدمَ منْ طينٍ، ثُمّ جعَلَ نَسْلَهُ مُتَسلْسِلًا { مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ } أيْ: مَاءٌ مَهِينٌ مُسْتَقْذَرٌ {نَبْتَلِيهِ}بِذَلِكَ(نَخْتَبِرُهُ بِالتّكَالِيفِ الشّرْعِيّةِ

فِيمَا بَعْدُ) لِنَعْلَمَ هَلْ يَرَى حَالَهُ الْأوْلَى وَيَتَفَطّنُ لَهَا أمْ يَنْسَاهَا وَتَغُرُّهُ نَفْسُهُ؟ ، فَأَنْشَأَهُ اللهُ،وَخَلَقَ لَهُ الْقُوَى الْبَاطِنَةَ وَالظّاهِرَةَ،

كَالسّمْعِ وَالْبَصرِ ، وَسَائِرِ الْأعْضَاءِ ، فأتمّهَا لَهُ وَجعَلَهَا سَالمَةً يَتمكّنُ بِهَا مِنْ تَحْصِيلِ مَقَاصِدِهِ}.

•هَذَا وَمِنْ جُمْلَةِ الابْتِلَاءَاتِ وَالْأَزَمَاتِ الّتِي تَعِيشُهَا الْأُمّةُ فِي وَاقِعِهَا الْمُعَاصِرِ أزْمَةُ الْفَقْرِ وَغَلَاءِ الْأسْعَارِ،وَسَوْفَ أحَاوِلُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ إيضَاحَ مَنْهَجِ الْإسْلَامِ فِي عِلَاجِ هَذِهِ الْمُشْكِلَاتِ،

وَالْآنَ حَانَ أوَانُ الشُّرُوعِ فِي الْمَقْصُودِ فَأقُولُ وَبِاللّهِ التّوْفِيقُ:



–الْفَقْرُ أزْمَةٌ مِنَ الْأزَمَاتِ وَمَعْنَاهُ عَدَمُ الْقَدْرَةِ عَلَى الْحُصُولِ عَلَى الاحتِيَاجَاتِ الضّرُورِيّةِ،فَالْفُقَرَاءُ هُمُ الّذِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حَسَبَ قُدْرَاتِهِمْ، وَمَوَارِدِهِمْ أنْ يُوَفِّرُوا لأنْفُسِهِم الْمُسْتَوَى اللّائِقَ لِلمَعِيشَةِ، وَهُوَ حَدُّ الْكِفَايَةِ لَا الْكَفَافِ، فَيُعْطَوْنَ مِنَ الزّكَاةِ الْقَدْرَ الّذِي يَصِلُ بِهِمْ إلَى حَدِّ الْكِفَايَةِ، أيْ أنّ الْهَدَفَ مِنَ الزّكَاةِ هُوَ تَحْقِيقُ مُسْتَوى لائقٍ لِمَعِيشَةِ الْفَقِيرِ، بِوَصْفِهِ إنْسَانًا كَرّمَهُ اللّهُ تعَالَى، وَاسْتَخْلَفَهُ فِي الْأرْضِ، وَمِنْ ثَمّ؛ كَانَتِ الزّكَاةُ مَعُونَةً دَائِمَةً مُنْتَظِمَةً، حَتّى يَزُولَ الْفَقْرُ بِالْغِنَي، وَتَزُولَ الْبَطَالَةُ بِالْكَسْبِ.

•وَمُشْكِلَةُ الْفَقْرِ مِنَ الْمُشْكِلَاتِ الْمُسْتَفْحِلَةِ فِي الْمُجْتَمَعَاتِ الْإسْلَامِيّةِ وَالْعَرَبِيّةِ وَلَهَا آثَارُهَا السّيِّئَةُ عَلَى الْأفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ،

فَشِدّةُ الْفَقْرِ تُثْمِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الشُّرُورِ لِذَلِكَ كَانَ النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–يَسْتَعِيذُ مِنَ الْفَقْرِ:

-فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ النّسائيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تعَالَى-فِي سُنَنِه وَصَحّحَهُ الشّيْخُ الْألْبَانيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ النّسَائيّ برَقَم(٥٤٧٥) مِنْ حَدِيث أنَس بْن مَالك-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:أنّ رَسُولَ اللّه- صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-كَانَ يَقُولُ:{اللّهُمّ إنّي أعُوذُ بكَ مِن الْفَقْرِ ، وَأعُوذُ بكَ مِنَ الْقِلّة وَالذّلّة ، وأعُوذُ بكَ أنْ أَظْلم أوْ أُظْلَمَ}.

-فَقَدْ كَانَ النّبيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- كَثِيرَ الدُّعَاءِ لِرَبّه، وَقَدْ عَلّمَ أمّتَهُ كَثِيرًا مِنَ الْأدْعِيَة النّافعَة لَهُمْ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيث يُخْبِرُ أنَسُ بْنُ مَالك-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أنّ رَسُولَ اللّه- صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ- كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائه: {اللّهُمّ إنّي أعُوذُ بكَ مِنَ الْفَقْرِ}، أيْ: ألْجَأُ وَألُوذُ بكَ مِنَ الْفَقْرِ فِي النّفْسِ وَالْمَال، وَالْمُرَادُ: به شدّتُه الّذِي لَا يَصْحَبُهُ خَيْرٌ وَلَا وَرَعٌ، وَرُبّمَا أوْقَعَ بصَاحِبه فِي حَرَام، وَقِيلَ: الْمُرَادُ به فَقْرُ النّفْسِ الّذِي لَا يَرُدُّهُ مُلْكُ الدُّنْيَا، {وَأعُوذُ بكَ مِنَ الْقِلّة}، أيْ: الْقِلّة فِي أبْوَاب الْخَيْرِ وَخِصَاله، وَقِيلَ: قِلّةُ الصّبْرِ، وَقِيلَ: قِلّةُ الْأنْصَار، وَقِيلَ: قِلّةُ الْمَال، {وَالذّلّة}، مِنَ الذُّلّ: وَهُوَ احْتِقَارُ النّاسِ وَالصّغَرُ فِي أعْيُنِهِمْ، وَقِيلَ: الذّلّةُ الْحَاصِلَةُ مِنَ الْمَعْصِيَة، أوِ التّذَلُّلُ للأغْنيَاء عَلَى وَجْه الْمَسْكَنَة، {وَأعُوذُ بكَ أنْ أَظْلمَ}، أيْ: أنْ يَقَعَ منْهُ ظُلْمٌ عَلَى أحَد، {أوْ أُظْلَمَ}، أيْ: أوْ يَقَعَ ظُلْمٌ مِنْ أحَد عَلَيْه،قِيلَ:وَإنّمَا كَانَ النّبيُّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-يَدْعُو ببَعْضِ هَذه الْأدْعِيَة مِنْ بَابِ التّوَاضُعِ وَالشُّكْرِ للّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَرُبّمَا تَقَعُ منْهُ تَعْليمًا لأمّته؛لأنّ بَعْضَ هَذه الْأُمُورِ قَدْ عُلِمَ أنّ اللّهَ تَعَالَى قَدْ عَصَمَ نَبيّهُ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-مِنَ الْوُقُوعِ فِيهَا .

•هَذَا وَقَدْ أشَارَ الْقُرْآنُ إلَى مُشْكلَة الْفَقْرِ فِي مَوَاضِع كَثِيرَة منْهَا قَوْلُه تَعَالَى:{لإيلَاف قُرَيْش (١) إيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشّتَاء وَالصّيْف (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبّ هَذَا الْبَيْت (٣) الّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْف}.(قريش:١-٤).

-وَفِيمَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ التّرْمذيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِه وَصَحّحَهُ الشّيْخُ الْألْبَانيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِ التّرْمذيّ برقَم(٢٣٤٦) مِنْ حَدِيث عُبَيْد اللّه بْن مِحْصَن-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-:{مَنْ أصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا}.

-فِي هَذَا الْحَدِيث يُبَيِّنُ الرَّسُولُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-ضَرُورَةَ حَاجَة الْإِنْسَان إِلَى الْأَمَان وَالْعَافِيَة وَالْقُوت فَيقول-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- مُعَلِّمًا أَصْحَابَهُ وَأُمَّتَهُ مِنْ بَعْدهِمْ:{مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ}، أيْ: أيُّ عَبْد كَانَ:{آمنًا فِي سِرْبِه}، أيْ: تَوَفَّر لَهُ الْأمَانُ عَلَى نَفْسِه أوْ عَلَى أهْله وَجماعَته، وَقِيلَ: السِّرْبُ هُوَ السَّبِيلُ أو الطَّرِيق، وقِيلَ: الْبَيْتُ،{مُعَافًى فِي جَسَدِه}، أيْ: تَحَصَّلَتْ لَهُ الْعَافِيَةُ فِي الْجَسَد فَسَلِم مِنَ الْمَرَض وَالْبَلَاء وكَانَ صَحِيحًا، {عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِه}، أيْ: وَتَوَفَّرَ لَهُ رِزْقُ يَوْمِه وَمَا يَحْتَاجُهُ مِنْ مؤونَة وَطَعَام وَشَرَاب يَكْفِي يَوْمَهُ،{فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا}، أيْ: فَكَأَنَّمَا مَلَكَ الدُّنْيَا وَجَمَعَهَا كُلَّهَا؛ فَمَنْ تَوَفَّر لَهُ الْأَمَانُ وَالْعَافِيَةُ وَالرِّزْقُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءِ بَعْدَ ذَلِكَ، فَكَانَ كَمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا، وَجَمَعَهَا، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، وَعَلَى الْعَبْدِ أنْ يَحْمَدَ اللَّهَ تَعالَى وَيَشْكُرَهُ عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ.

•مِنْ أجْلِ ذَلِكَ جَعَلَ الْإِسْلَامُ مُشْكِلَةَ الْفَقْرِ فِي الصَّدَارَةِ وَوَضَعَ طُرُقًا لِعِلَاجِهَا أذْكُرُ مِنْهَا:

تَذْكِيرُ الْأَبْرَار

بعلاج مشكلة الفقر وغلاء الأسعار

أ.تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

-مِنْ وَسَائِل عِلَاجِ مُشْكِلَة الْفَقْر تَقْوَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بِتَنْفِيذِ أوَامِرِه وَاجْتِنَاب نَوَاهِيه وَتَصْدِيق أخْبَارِه وَاتِّبَاعِ رَسُولِه-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-لِقَوْلِه تَعَالَى:{..وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا(٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا }.(الطَّلَاق:٢-٣).

-جَاءَ فِي تَفْسِير تفسير أبِي السُّعُود-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:{وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ} الخ جُمْلَةٌ اعْتِرَاضِيَّةٌ، مُؤَكِّدَةٌ لِمَا سَبَقَ مِنْ وُجُوب مُرَاعَاة حُدُود اللَّه تَعَالَى بِالْوَعْد عَلَى الاتِّقَاء عَنْ تَعَدِّيهَا، كَمَا أنَّ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِه تَعَالَى: {وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّه فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}، مُؤَكِّدٌ لَهُ بِالْوَعِيد عَلَى تَعَدِّيهَا. فَالْمَعْنَى: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَطَلَّقَ لِلسُّنَّة، وَلَمْ يُضَارَّ الْمُعْتَدَّةَ، وَلَمْ يُخْرِجْهَا مِنْ مَسْكَنِهَا، وَاحْتَاطَ فِي الْإِشْهَاد، وَغَيْرِه مِنَ الْأُمُور: {يَجْعَلْ لَهُ

مَخْرَجًا}، مِمّا عَسى يَقَعُ فِي شأنِ الْأزْواجِ مِنَ الْغُمُومِ وَالْوُقُوعِ فِي الْمَضَايِق، وَيُفَرّج عَنْهُ مَا يَعْتَرِيهِ مِنَ الْكُرُوبِ {وَيرزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِب} أي مِنْ وَجْهٍ لَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ وَلَا يَحْتَسِبُهُ.

-وَقَوْلُهُ تَعَالَى:{وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ}.(الأعراف:٩٦).

-أيْ:لَوْ أنّ أهْلَ الْقُرَى آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ إيمَانًا صَادِقًا صَدّقَتْهُ الْأعْمَالُ، وَاسْتَعْمَلُوا تَقْوَى اللّه تَعَالَى ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِتَرْك جَمِيعِ مَا حَرّمَ اللّهُ، لَفَتَحَ عَلَيْهِمْ بَرَكَاتِ السّمَاءِ وَالْأرْضِ، فَأرْسَلَ السّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، وَأنْبَتَ لَهُمْ مِنَ الْأرْضِ مَا بِهِ يَعِيشُونَ وَتَعِيشُ بَهَائِمُهُمْ، فِي أخْصَبِ عَيْشٍ وَأغْزَرِ رِزْق،مِنْ غَيْرِ عَنَاء وَلَا تَعَب،وَلَا كَدّ وَلَا نَصَب، وَلَكِنّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا وَيَتّقُوا { فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} بِالْعُقُوبَات وَالْبَلَايَا وَنَزْعِ الْبَرَكَات، وَكَثْرَة الْآفَات، وَهِيَ بَعْضُ جَزَاء أعْمَالِهِمْ، وَإلّا فَلَوْ أخَذَهُمْ بِجَمِيعِ مَا كَسَبُوا،مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابّة.{ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الّذِي عَمِلُوا لَعَلّهُمْ يَرْجِعُونَ}.(الرُّوم:٤١).

-فَعَدَمُ التّقْوَى يُثْمِرُ الضّيقَ وَالْكَرْبَ وَالْمَفَاسِدَ الدّينِيّة وَالدُّنْيَوِيّة.

-فَقَدْ أخْرَجَ ابْنُ مَاجَه-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٤٠١٩)

مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللّه بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللّه تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:أقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-فَقَالَ:{يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ!خِصَالٌ خَمْسٌ إذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنّ ، وَأعُوذُ بِاللّه أنْ تُدْرِكُوهُنّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطٌّ؛حَتّى يُعْلِنُوا بِهَا؛إلّا فَشَا فِيهِمُ الطّاعُونُ وَالْأوْجَاعُ الّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أسْلَافِهِمُ الّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إلّا أُخِذُوا بِالسّنِينَ وَشِدّةِ الْمُؤْنَةِ ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ،وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أمْوَالِهِمْ إلّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السّمَاءِ،وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إلّا سَلّطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوّهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أئِمّتُهُمْ بِكِتَابِ اللّهِ عَزّ وَجَلّ وَيَتَخَيّرُوا فِيمَا أَنْزَلَ اللّهُ إلّا جَعَلَ اللّهُ بَأسَهُمْ بَيْنَهُمْ}.

ب. الدُّعَاءُ

مِنْ وَسَائِلِ علَاجِ مُشْكلَةِ الْفَقْرِ الدُّعَاءُ لقَوْلِ اللّه تَعالَى:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}.(البقرة:١٨٦).

–فَهَذَا جوَابُ سُؤال، سَأَلَ النَّبيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–بَعْضُ أَصْحَابه فَقَالُوا:يا رَسُولَ اللّه، أَقَرِيبٌ رَبُّنَا فَنُنَاجِيه، أمْ بعيدٌ فَنُنَاديه؟ فَنَزَلَ:{وإذا سَأَلَكَ عِبادي عَنّي فَإنّي قَرِيبٌ } لأَنّهُ تَعالَى، الرّقيبُ الشّهيدُ، الْمُطّلعُ عَلَى السّرّ وَأخفَى، يَعْلَمُ خَائنَةَ الْأعيُنِ وَمَا تُخفي الصُّدُورُ، فَهُوَ قَرِيبٌ أيْضًا منْ دَاعيه، بالْإجابَة،وَلهَذَا قالَ:{أُجيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إذا دَعَانِ } وَالدُّعَاءُ نَوْعَانِ: دُعَاءُ عبَادَة، وَدُعَاءُ مَسْأَلَة. وَالْقُرْبُ نَوْعَان: قُرْبٌ بعلْمه منْ كُلِّ خَلْقه، وَقُرْبٌ منْ عَابديه وَدَاعيه بالْإجابَة وَالْمَعُونَة وَالتّوْفيق. فَمَنْ دعَا رَبّهُ بقَلْب حَاضر، وَدُعَاء مَشْرُوعٍ، وَلَمْ يَمْنَعْ مَانعٌ منْ إجابَة الدُّعَاء، كَأَكْلِ الْحرَامِ وَنَحْوه، فَقَدْ أخْرَجَ الْإمامُ مُسْلمٌ–رَحمَهُ اللّهُ تَعالَى–في صَحيحه برَقَم(١٠١٥)منْ حَديث أبي هُرَيْرَةَ–رَضيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّه–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–:{أَيُّها النّاسُ، إنّ اللّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلّا طَيِّبًا، وَإنّ اللّهَ أمَرَ الْمُؤْمنينَ بمَا أمَرَ به الْمُرْسَلينَ، فَقالَ: {يا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا منَ الطّيّبَات وَاعْمَلُوا صَالحًا إنّي بمَا تَعْمَلُونَ عَليمٌ} (المؤمنون: ٥١)، وَقَالَ: {يا أَيُّها الّذينَ آمَنُوا كُلُوا منْ طَيّبَات مَا رَزَقْنَاكُمْ}.(البقرة:١٧٢) ثُمّ ذَكَرَ الرّجُلَ يُطيلُ السّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْه إلَى السّمَاء، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ،وَغُذِيَ بالْحرَامِ،فَأَنّى يُسْتَجَابُ لذلكَ؟!}.فَمَنْ جَاءَ بأَسْبَاب اسْتجَابَة الدُّعَاء وَتَجَنّبَ الْمَوانعَ فَإنّ اللّهَ قَدْ وَعَدَهُ بالْإجَابَة، وَخُصُوصًا إذَا أَتَى بأَسْبَاب إجَابَة الدُّعَاء، وَهيَ الاسْتجَابَةُ للّه تَعالَى بالانْقيَاد لأَوامره وَنَوَاهيه الْقَوْلّيَة وَالْفعْليّة، وَالْإيمَان به، الْمُوجب للاسْتجَابَة ، فلهَذَا قَالَ:{فَلْيَسْتَجيبُوا لي وَلْيُؤْمنُوا بي لَعَلّهُمْ يَرْشُدُونَ } أيْ: يَحْصُلُ لَهُمُ الرُّشْدُ الّذي هُوَ الْهدَايَةُ للإيمَان وَالْأعْمَال الصّالحَة، وَيَزُولُ عَنْهُمُ الْغيُّ

الْمُنَافِي للإيمان وَالْأعْمَال الصَّالحَة. وَلأنّ الْإيمَانَ باللّه وَالاسْتجَابَة لأمْره، سَبَبٌ لحُصُول الْعلْمِ كمَا قَالَ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ}.(الأنفال:٢٩).

-وَلقَوْله تَعَالَى:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}. (غافر:٦٠).

-فَهَذَا منْ لُطْفه بعبَاده، وَنعمَته الْعَظيمَة، حَيْثُ دَعَاهُمْ إلَى مَا فيه صَلَاح دينهمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَأمَرَهُمْ بدُعَائه، دُعَاء الْعبَادَة، وَدُعَاء الْمَسْأَلَة، وَوَعَدَهُمْ أنْ يَسْتَجيبَ لَهُمْ، وَتوَعّدَ مَن اسْتَكْبَرَ عَنْهَا فَقَالَ: { إنّ الّذينَ يَسْتَكْبرُونَ عَنْ عبَادَتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنّمَ دَاخرينَ } أيْ: ذَليلينَ حَقيرينَ، يَجْتَمعُ عَلَيْهمُ الْعَذَابُ وَالْإهَانَةُ، جَزَاءً عَلَى اسْتكْبَارهمْ.

•وَقَدْ كَانَ منْ دُعَاء النّبيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-سُؤَالُ رَبّه تَعَالَى الْغنَى،فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلمٌ-رَحمَهُ اللّهُ تَعَالَى-في صَحيحه برَقَم(٢٧٢١)منْ حَديث عَبْد اللّه بْن مَسْعُود-رَضيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-:{اللّهُمّ إنّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغنَى}. وَفي روَايَةٍ : {وَالْعفّةَ}.

-فَهَذَا حَديثٌ جَامعٌ لأبْوَاب الْخَيْر، وَمَا يَنْبَغي عَلَى الْإنْسَان فعْلُهُ لصَلَاح حَاله، وَمَآله في الدُّنْيَا وَالْآخرَة.

-فَقَوْلُهُ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ: (أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى)؛ منْ دُون تَقْييد لَهُمَا ليَتَنَاوَلَ كُلّ مَا يَنْبَغي أنْ يَهتَدي إلَيْه منْ أمْر الْمَعَاش وَالْمَعَاد، وَمَكَارم الْأَخْلَاق،وَكُلّ مَا يَجبُ أنْ يَتّقي منْهُ منَ الشّرْك وَالْمَعَاصي، وَرَذَائل الْأَخْلَاق.

وَقَوْلُهُ:(الْعَفَافُ) الْعفّةُ عَنْ كُلّ مَا حَرّمَ اللّهُ عَلَيْه، فَالْعَفَافُ: أنْ يَعفّ عَنْ كُلّ مَا حَرّمَ اللّه عَلَيْه فيمَا يَتعَلّقُ بجَميع الْمَحَارم الّتي حَرّمَهَا اللّهُ عَزّ وَجَلّ.

وَأمّا {الْغنَى} فَالْمُرَادُ به الْغنَى عَمّا سوَى اللّه، أي الْغنَى عَن الْخَلْق، فَالْإنْسَانُ إذَا وَفّقَهُ اللّهُ وَمَنّ عَلَيْه بالاسْتغْنَاء عَن الْخَلْق، صَارَ عَزيزَ النّفْس غَيْرَ ذَليلٍ؛ لأنّ الْحَاجَةَ إلَى الْخَلْق ذُلٌّ وَمَهَانَةٌ، وَالْحَاجَةُ إلَى اللّه تَعَالَى عزٌّ وَعبَادَةٌ.

-وَفي الْحَديث:أنّ الّذي يَمْلكُ النّفْعَ وَالضّرّ وَالْهدَايَةَ للخَلْقِ هُوَ اللّهُ وَحْدَه، لَا مَلَكٌ مُقَرّبٌ وَلَا نَبيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا غَيْرُهُمَا فَيَجِبُ الْفزَعُ إلَيْه عِنْدَ الْحَاجَاتِ .

تَذْكِيرُ الْأَبْرَارِ

بعلاج مشكلة الفقر وغلاء الأسعار

ج. الْأَخْذُ بِالْأَسْبَابِ وَالسَّعْيُ عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ

لَقَدْ حَثّ الْإسْلَامُ عَلَى الْأَخْذ بالْأَسْبَاب وَالسّعْي في طَلَبِ الْأرْزَاق تَحْقيقًا لصدْق التّوَكّلِ عَلَى اللّهِ تعَالَى،فَالْأخْذُ بِالْأَسْبَابِ طَاعَةٌ،وَتَرْكُ الْأسْبَابِ مَعْصيَةٌ،وَالاعْتقَادُ في الْأسْبَابِ نَقْصٌ في التّوْحيدِ وَشرْكٌ.

-قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{وَهُزّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا}.(مريم:٢٥).

-أيْ:قَالَ عيسَى عَلَيْه السّلَامُ لأُمّه مريَمَ عَلَيْهَا السّلَامُ عِنْدَ وَضْعها إيّاهَا وهيَ في مَخَاضِهَا:حَرّكي جذْعَ النّخْلَة تُساقطْ عَلَيْك رُطَبًا غَضًّا جَني منْ سَاعَته.

-وَقَدْ أخذَ الْعُلَمَاءُ منْ هَذه الْآيَة الْكَريمَة ، أنّ مُبَاشَرَةَ الْأسْبَاب في طَلَب الرّزْق أمْرٌ وَاجبٌ وَأنّ ذَلكَ لَا يُنَافي التّوَكّلَ عَلَى اللّه ، لأنّ الْمُؤمنَ يَتَعَاطَى الْأسْبَابَ امْتثَالًا لأمْرِ رَبّه مَعَ عِلْمه ويَقِينه أنّهُ لَا يَقَعُ في مُلْكه سُبْحَانَهُ إلّا مَا يَشَاؤُهُ وَيُريدُهُ .

وَهُنَا قَدْ أمَرَ اللّهُ تَعَالَى مَرْيَمَ عَلَى لسَانِ مَوْلُودهَا بأنْ تَهُزّ النّخْلَةَ ليَتَسَاقَطَ لَهَا الرُّطَبُ ، مَعَ قُدْرَته سُبْحَانَهُ عَلَى إنْزَالِ الرُّطَبِ إلَيْهَا مِنْ غَيْرِ هَزٍّ أوْ تَحْرِيكٍ ، وَرَحمَ اللّهُ الْقَائِلَ

-ألَمْ تَرَ أنّ اللّهَ قَالَ لِمَرْيَمَ

وَهُزّي إلَيْكِ الْجذْعَ يُسَاقِطُ الرُّطَب.

-وَلَوْ شَاءَ أنْ تَجْنيَهُ مِنْ غَيْرِ هَزّه

جَنَتْهُ ، وَلَكِنْ كُلّ شَيءٍ لَهُ سَبَب.

-كَمَا أخذُوا منهَا أنّ خيْرَ مَا تَأكُلُه الْمرْأةُ بَعْدَ وِلَادَتِها الرُّطَبُ ، قَالُوا : لأنّهُ لَوْ كَانَ شَيءٌ أحْسَنَ للنُّفسَاءِ منَ الرُّطَبِ لأطْعَمَهُ اللّهُ تعَالَى لِمرْيَمَ .

-وَقَالَ اللّهُ تعَالَى:{هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ}.(الملك:١٥).

-أيْ: هُوَ الّذِي سَخّرَ لَكُمُ الْأرْضَ وَذَلّلَهَا، لِتُدْركُوا منهَا كُلّ مَا تَعَلّقَتْ بِه حَاجَتُكُمْ، منْ غَرْسٍ وبِنَاءٍ وَحَرْثٍ، وَطُرُقٍ يُتوصّلُ بِهَا إلَى الْأقْطَارِ النّائِيَةِ وَالْبُلْدَانِ الشّاسِعَةِ، { فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا } أيْ: لِطَلَبِ الرِّزْقِ وَالْمكَاسِبِ.

{ وَكُلُوا منْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } أيْ: بَعْدَ أنْ تَنْتَقِلُوا منْ هَذِهِ الدّارِ الّتي جَعَلَهَا اللّهُ امْتِحَانًا، وَبُلْغَةً يُتَبَلّغُ بِهَا إلَى الدّارِ الْآخِرَةِ، تُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، وَتُحْشَرُونَ إلَى اللّهِ، لِيُجَازِيَكُمْ بِأعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ وَالسّيّئَةِ.

•منْ أجْلِ ذَلِكَ كَانَ الْحَلُّ النّبويُّ لِمُشْكِلَةِ الْفَقْرِ حَلًّا عَمَلِيًّا مُتَدَرّجًا مَبْنِيًّا عَلَى تَعَالِيمِ الْإسْلَامِ وَأحْكَامِهِ؛ حَيْثُ بَدَأَ رَسُولُ اللّهِ- صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-بِتَشْجِيعِ النّاسِ عَلَى مُزَاوَلَةِ الْأعْمَالِ،وَبَعْضِ الْمِهَنِ وَالصّنَاعَاتِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ الْأنْبِيَاءُ- عَلَيْهِمُ الصّلَاةُ وَالسّلَامُ-، الّذِينَ أعْطَوا الْقُدْوَةَ وَالْمَثَلَ الْأعْلَى فِي الْعَمَلِ وَالْكَسْبِ الْحَلَالِ، فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ برقَمِ(٢٠٧٢)منْ حَدِيثِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبٍ-رَضِيَ اللّهُ تعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-عَنْ نَبِيّ اللّهِ دَاوُدَ-عَلَيْهِ السّلَامُ-:{مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنّ نَبِيّ اللّهِ دَاوُدَ تعالى كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ}.

-وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ- الْقُدْوَةَ وَالْمَثَلَ الّذِي يُحْتَذَى بِهِ فِي هَذَا الْمَجَالِ؛ حَيْثُ كَانَ يَرْعَى الْغَنَمَ، وَيُزَاوِلُ التِّجَارَةَ بِأمْوَالِ خَدِيجَةَ -رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا- قَبْلَ بِعْثَتِهِ،فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ

(٢٢٦٢) مِنْ حَديث أبي هُرَيْرَةَ–رَضي اللّهُ تعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–:{مَا بَعثَ اللّهُ نَبيًّا إلّا رَاعِي غنَمٍ، قَالَ لَهُ أصْحَابُه: وَأنْتَ يَا رَسُولَ اللّه؟ قَالَ:وَأَنَا كُنْتُ أرْعَاهَا لأَهْلِ مَكّةَ بِالْقَرَارِيط قَالَ سُوَيْدٌ: يَعْنِي كُلّ شَاة بقيرَاط}.وَفي رِوَايَة:{مَا بَعَثَ اللّهُ نَبيًّا إلّا وَرعَى الْغَنَمَ قَالُوا : وَأنْتَ يَا رَسُولَ اللّه؟ قَالَ : نَعَمْ كُنْتُ أرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأهْلِ مَكّةَ}.

–وَالْحِكْمَةُ فِي إلْهَامِ الْأنْبِيَاء رَعْيِ الْغَنَمِ قَبْلَ النُبوّة أنْ يَحصُلَ لَهُمُ التّمَرُّنُ بِرَعْيِهَا عَلَى مَا يُكَلّفُونَ بِه مِنَ الْقِيَامِ بِأمْرِ أمّتِهِمْ؛ وَلأنّ فِي مُخَالَطَتِهَا مَا يَحْصُلُ لَهُمْ بِه الْحِلْمُ وَالشّفَقَةُ؛ لأنّهُمْ إذَا صَبَرُوا عَلَى رَعْيِهَا وَجَمْعِهَا بَعْدَ تَفَرُّقِهَا فِي الْمَرْعَى وَنَقْلِهَا مِنْ مَسْرَحٍ إلَى مَسْرَحٍ، وَدَفْعِ عَدُوّهَا مِنَ السِّبَاعِ وَالْوُحُوشِ وَالسُّرّاق، وَعَلِمُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَشِدّةَ تَفَرُّقِهَا، مَعَ ضَعْفِهَا وَاحْتِيَاجِهَا إلَى الْمُعَاهَدَةِ أَلِفُوا مِنْ ذَلِكَ الصّبْرَ عَلَى الْأمّة، وَعَرَفُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا ، فَجَبَرُوا كَسْرَهَا وَرَفَقُوا بِضَعِيفِهَا، وَأحْسَنُوا التّعَاهُدَ لَهَا، فَيَكُونُ تَحَمُّلُهُمْ لِمَشَقّة ذَلكَ أسْهَلَ مِمّا لَوْ كُلّفُوا الْقِيَامَ بِذَلِكَ مِنْ أوّلِ وَهْلَة؛ لِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التّدْرِيجِ عَلَى ذَلِكَ بِرَعْيِ الْغَنَمِ، وَخُصّتِ الْغَنَمُ بِذَلِكَ لِكَوْنِهَا أضْعَفَ مِنْ غَيْرِهَا؛ وَلأنّ تَفَرُّقَهَا أكْثَرُ مِنْ تَفَرُّقِ الْإبِلِ وَالْبَقَرِ؛ لإمْكَانِ ضَبْطِ الْإبِلِ وَالْبَقَرِ بِالرّبْطِ دُونَهَا فِي الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَة، وَمَعَ أكْثَرِيّة تَفَرُّقِهَا فَهِيَ أسْرَعُ انْقِيَادًا مِنْ غَيْرِهَا.

–وَتَفْسِيرُ سُوَيد بْنِ سَعيد أحَد رُوَاة هَذَا الْحَدِيث لِلقِيرَاط يَدُلُّ عَلَى أنّ الْقِيرَاطَ نَوْعٌ مِنَ النّقْد،أوْ هُوَ جُزْءٌ مِنَ الدّرَاهِمِ وَالدّنَانِير، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ أجْزَاءِ الدّينَارِ، وَهُوَ نِصْفُ عُشْرِه فِي أكْثَرِ الْبِلَاد،

وَيُقَدّرُ الدّينَارُ مِنَ الذّهَبِ ب ٤:٢٥ مِنَ الْجِرَامَات. وَأهْلُ الشّامِ يَجْعَلُونَه جُزْءًا مِنْ أرْبَعَة وَعِشْرِينَ، وَلَكِنْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاء: إنّ الْقَرَارِيطَ هُنَا اسْمٌ لِمَكَان فِي مَكّةَ قُرْبَ جِيَاد، كَانَ يَرْعَى فِيه النّبِيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– الْأغْنَامَ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاء: لَا مَانِعَ مِنْ أنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أنّهُ كَانَ يَرْعَى بِالْأجْرَة لأهْلِ مَكّةَ فِي أيِّ مَكَانٍ فِيهَا.

–كَمَا كَانَتْ نَظْرَةُ رَسُولِ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–لِلعَمَلِ نَظْرَةَ تَقْدِيرٍ وَاحْتِرَامٍ، مَهْمَا كَانَتْ طَبِيعَتُهُ؛ فَإنّه خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ النّاسِ وَالذِّلّة بَيْنَ أيْدِيهِمْ، وَيُصَوِّرُ رَسُولُ اللّهِ–صَلّى

اللّه عَلَيْه وَسَلّمَ- هَذَا الْأمرَ بِقوْله فيمَا أخْرجَهُ الْإمامُ الْبُخَاريّ-رَحمَهُ اللّه تَعَالَى-في صَحيحه برَقم(١٥٦)من حَديث الزُّبَيْر بْن الْعَوّام-رَضيَ اللّهُ تَعالَى عَنْهُ-قَالَ:قَال رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-:{لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللّهُ بِهَا وَجْهَهُ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ}.

-كَمَا تَتفرّدُ النّظْرَةُ النّبَويّةُ للعملِ كَذَلكَ بأنّهَا تَربطُ بيْنَ الْعَمَلِ وَثوَاب اللّه في الْآخرَة.

-وَشجّعَ رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ- الْمَشَاريعَ الاقْتصَاديّةَ بَيْنَ الْمُسْلمينَ، وَحَثّهُمْ عَلَى الْمُزَارَعَة، كَمَا فعَلَ الْأنْصَارُ مَعَ إخْوَانهمُ الْمُهَاجرينَ الْفُقَرَاء، الّذينَ قَدمُوا عَلَى الْمَدينَة بلَا أدْنَى مَال،فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَاريّ-رَحمَهُ اللّهُ تَعَالَى-في صَحيحه برَقَم(٢٣٢٥)من حَديث أَبي هُرَيْرَةَ- رَضيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ- أنّهُ قَالَ: قَالَت الْأنْصَارُ للنّبيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-:اقْسمْ بيْننَا وَبَيْنَ إخْوَاننَا النّخيلَ. فَقَالَ:{لَا. فَقَالُوا: تَكْفُونَا الْمُؤْنَةَ، وَنَشْرَكْكُمْ في الثّمَرَة. قَالُوا: سَمعْنَا وَأطَعْنَا}.

وَالْمَعْنَى: أنّ الْمُهَاجرينَ يَقُومُونَ بالْعَمَلِ اللّازم في الزّرَاعَة وَالسّقَايَة وَرعَايَة الْأرْض، فَيَكُونُ من الْأنْصَار النّخيلُ،وَمنَ الْمُهَاجرينَ الْعَمَلُ فيهَا، وَيَشْترِكُ الْجَميعُ في الثّمَرَة لَا في أصْل النّخيل، فَحصَلَ بذَلكَ بَيْنَهُمُ الْمُعَامَلَةُ الّتي تُعْرَفُ بالْمُسَاقَاة، وَهيَ دَفْعُ شَجَرٍ لمَنْ يَسْقيه وَيَعْمَلُ عَلَيْه بجُزْءٍ مَعْلُومٍ منْ ثَمَره.

-وَحَرّمَ اللّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ- الرّبَا لمَا لَهُ منْ مَضَارّ عَلَى فُقَرَاء الْمُجْتَمَع؛ فَهُوَ يَعُوقُ التّنْميَةَ، وَيُسَبّبُ التخلّفَ، وَيزيد الفقير فقرًا؛ ممّا يؤدّي إلى الْهَلَاكَ كَمَا قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ}.(البقرة:٢٧٥)؛ وَكَمَا قَالَ رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-فيمَا أخْرَجَهُ الشّيْخَان الْبُخَاريّ برقَم(٢٧٦٦)وَمُسْلمٌ برقَم(٨٩)منْ حَديث أَبي هُرَيْرَةَ-رَضيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَال رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-:{اجْتَنبُوا السّبْعَ الْمُوبقَات،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللّه وَمَا هُنّ؟ قَالَ: الشّرْكُ باللّه، وَالسّحْرُ، وَقَتْلُ النّفْس الّتي

حَرّمَ اللّهُ إلّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا،وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ،وَالتّوَلّي يَوْمَ الزّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ}.

تذكير الأبرار

بعلاج مشكلة الفقر وغلاء الأسعار

د. التَّكَافل بَيْنَ الْمسْلِمِين

أمّا إذا ضَاقَت الْحَالُ، وَلَمْ يَجد الْإِنْسَانُ عَمَلاً، وَأَصْبَحَ فَقِيرًا مُحْتَاجًا، فَقَدْ شَرَعَ الْإِسْلَامُ الزّكَاةَ وَجَعَلَ للفَقِيرِ حَقًّا فِي مَالِ الْأَغْنِيَاءِ فقَالَ اللّهُ تعَالَى:{وَأَقِيمُوا الصّلَاةَ وَآتُوا الزّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرّاكِعِينَ}.(البقرة:٤٣).

،وَقَالَ تَعَالَى:{وَهُوَ الّذِي أَنشَأَ جَنّاتٍ مّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنّخْلَ وَالزّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزّيْتُونَ وَالرّمّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنّهُ لَا يُحِبّ الْمُسْرِفِينَ }.(الأنعام:١٤١).

وَقَالَ تعَالَى:{إِنّمَا الصّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السّبِيلِ فَرِيضَةً مّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.(التّوبة:٦٠).،وَقَالَ تعَالَى:{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهّرُهُمْ وَتُزَكّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.(التّوبة:١٠٣).

وَقَالَ تَعَالَى مُحَذِّرًا الْأَغْنِيَاءِ مِنْ مَنْعِ الزّكَاةِ:{يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا إِنّ كَثِيرًا مّنَ الْأَحْبَارِ وَالرّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالّذِينَ يَكْنِزُونَ الذّهَبَ وَالْفِضّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ}.(التّوبة:٣٤-٣٥).

-كَمَا حَثّ الْإسْلَامُ عَلَى أنْ يَكْفُلَ الْأغْنياءُ الْمُوسرُون أقَاربَهُم الْفُقَرَاءَ، وَذَلك لمَا بَيْنَهُمْ منَ الرّحمِ وَالْقَرَابَة، وَقَدْ وَصفَهُ اللّهُ تعَالَى بِأنّهُ حَقٌ منَ الْحُقُوق الْوَاجبَة بَيْنَ الْأقَارب، فَقَالَ تعالَى: {فَآَت ذَا الْقُرْبَى حَقّهُ}.(الرّوم: ٣٨).، ثُمّ تَأتي السّيرَةُ النّبَويّةُ خَيْرُ تَطْبيق لِهَذَا الْحقّ، وَتُرتّبُ أوْلَويّات التّكَافُلِ لَدَى كُلّ مُسْلمٍ؛فَقَدْ أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلمٌ-رَحمَهُ اللّهُ تَعَالَى-في صَحيحه برقَمِ(٩٩٧) منْ حَديث جَابر بْن عَبْد اللّه-رَضي اللّهُ تَعالَى عَنْهُمَا-قَالَ:أَعْتَقَ رَجُلٌ منْ بَني عُذْرَة عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبر، فَبَلَغَ ذلكَ رَسُولَ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-فَقَالَ:{أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: مَنْ يَشْتَريه منّي؟ فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْد اللّه الْعَدَويّ بثمَان مئَة درْهَم، فَجَاءَ بهَا رَسُولَ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-فَدَفَعَهَا إلَيْه، ثُمّ قَالَ: ابْدَأْ بنَفْسكَ فَتَصَدّقْ عَلَيْهَا، فَإنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلأَهْلكَ، فَإنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلكَ شَيْءٌ فَلذي قَرَابَتكَ، فَإنْ فَضَلَ عَنْ ذي قَرَابَتكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمينكَ وَعَنْ شمَالكَ}.

-وَإذَا عَجزَ الْأقَاربُ الْأغْنيَاءُ عَنْ سَدّ حَاجَةَ الْفُقَرَاء جَاءَ دَوْرُ الْمُجْتَمَع كَكُلٍّ؛ مُتَمَثّلاً في بَاب التّطَوّعِ وَالنّفْلِ وَالْمُسَارَعَة في النّفَقَة وَالْجُود قَالَ اللّهُ تَعَالَى:{مَّثَلُ الَّذينَ يُنفقُونَ أَمْوَالَهُمْ في سَبيلِ اللَّه كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابلَ في كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعفُ لمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسعٌ عَليمٌ (٢٦١) الَّذينَ يُنفقُونَ أَمْوَالَهُمْ في سَبيلِ اللَّه ثُمَّ لَا يُتْبعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عندَ رَبِّهمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}.(البقرة:٢٦١-٢٦٢).

-وَأخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلمٌ-رَحمَهُ اللّهُ تعَالَى-في صَحيحه برقَمِ(٢٦٩٩)

منْ حَديث أبي هُرَيْرَةَ-رَضيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ-:{مَنْ نَفّسَ عَنْ مُؤْمنٍ كُرْبَةً منْ كُرَب الدُّنْيَا، نَفّسَ اللّهُ عَنْهُ كُرْبَةً منْ كُرَب يَوْم الْقيَامَة، وَمَنْ يَسّرَ عَلَى مُعْسرٍ، يَسّرَ اللّهُ عَلَيْه في الدُّنْيَا وَالْآخرَة، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلمًا، سَتَرَهُ اللّهُ في الدُّنْيَا وَالْآخرَة، وَاللّهُ في عَوْن الْعَبْد مَا كَانَ الْعَبْدُ في عَوْن أَخيه، وَمَنْ سَلَكَ طَريقًا يَلْتَمسُ فيه علْمًا، سَهّلَ اللّهُ لَهُ به طَريقًا إلَى الْجَنّة، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْت منْ بُيُوت اللّه، يَتْلُونَ كتَابَ اللّه، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلّا نَزَلَتْ عَلَيْهمُ السّكينَةُ، وَغَشيَتْهُمُ

الرّحْمَةُ وَحَفّتْهم الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ}.

-وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-أَيْضًا فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٧٢٨)مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النّبِيّ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، قَالَ: فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{ مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ. قَالَ: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتّى رَأَيْنَا أَنّهُ لَا حَقّ لِأَحَدٍ مِنّا فِي فَضْلٍ}.

-قَوْلُهُ-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{فَضْلُ ظَهْرٍ}أَيْ: زِيَادَةُ مَرْكُوبٍ عَنْ نَفْسِهِ؛ {فَلْيَعُدْ بِهِ} أَيْ:فَلْيُرْفِقْ بِهِ {عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ} وَيَحْمِلْهُ عَلَى ظَهْرِهِ أَيْ:الدّابّةِ، {وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضَلُ زَادٍ} أَيْ: طَعَامٍ مِنْهُ وَمِنْ دَابّتِهِ {فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ} أَيْ: مِقْدَارِ كِفَايَتِهِ.

•حَقًّا مَا أَعْظَمَ التّشْرِيعِ فِي الْإِسْلَامِ؟!.



-

مِنَ الْأَزَمَاتِ الّتِي نَعِيشُهَا أَزْمَةُ غَلَاءِ الْأَسْعَارِ وَالّتِي يَتَسَبّبُ فِيهَا بَعْضُ التّجّارِ مِنَ الْفُجّارِ الّذِينَ يَحْتَكِرُونَ السّلَعَ الضّرُورِيّةَ حَتّى يَرْتَفِعَ ثَمَنُهَا،وَيَسْتَغِلّونَ حَاجَةَ الْفُقَرَاءِ فَيَزْدَادُ الْفَقِيرُ فَقْرًا وَتَعَمّ الْفَوْضَى،وَعِلَاجُ هَذِهِ الْأَزْمَةِ فِي إِحْيَاءِ الضّمِيرِ وَبَيَانِ خُطُورَةِ الاحْتِكَارِ وَاسْتِغْلَالِ حَاجَةِ النّاسِ.

-فَقَدْ أَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(١٦٠٥) مِنْ حَدِيثِ مَعْمَرِ بْنِ أَبِي مَعْمَرٍ-رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ-

قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ–:{لا يحتكرُ إلّا خاطِئٌ}.

–يُبَيِّنُ النّبيُّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– أنّ مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ {خَاطِئٌ}، أيْ: عَاصٍ آثِمٌ، وَالْمُحْتَكِرُ هُوَ الّذِي يَشْتَرِي السِّلَعَ مِنَ الطّعَامِ وَنحْوِه مِمّا يَحْتَاجُهُ النّاسُ فِي وَقْتِ الشّدّة، وَيُخَزّنُهُ إذَا اشْتَدّ الْغَلَاءُ حَتّى يَبِيعَهُ بأَكْثَر.

–وَفِي الْحَدِيثِ: النّهْيُ عَنِ احتِكَارِ الطّعَامِ وَنَحْوِه مِمّا يَحْتَاجُهُ النّاسُ فِي وَقْتِ الشّدّة.

–فَنَقُولُ للتّاجِرِ الْمُحْتَكِرِ يَا بَاغِيَ الشّرّ أقْصِرْ ،وَدَعْنِي أذَكِّرُكَ بِهَذِهِ النُّصُوصِ النّبَوِيّة لَعَلّهَا تكُونُ رَادِعَةً لَكَ:

–(١)أخْرَجَ الْإمَامُ التِّرْمِذِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي سُنَنِه برقَمِ(١٢١٠) مِنْ حَدِيث رِفَاعَة بْنِ رَافِعٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–أَنّهُ خَرَجَ مَعَ النّبِيّ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– إِلَى الْمُصَلّى، فَرَأَى النّاسَ يَتَبَايَعُونَ، فَقَالَ: {يَا مَعْشَرَ التُّجَارِ فَاسْتَجَابُوا لِرَسُولِ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– وَرَفَعُوا أعْنَاقَهُمْ وَأبْصَارَهُمْ إلَيْه فَقَالَ: إنّ التُّجّارَ يُبْعَثُونَ يومَ الْقِيَامَةِ فُجّارًا إلّا مَنِ اتّقَى اللّهَ وَبَرّ وَصَدَقَ}.

–فَقَوْلُهُ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–:{إنّ التّجّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجّارًا}، أيْ: لِمَا قَدْ يَقَعُ مِنْهُمْ مِنَ الْأحْلَافِ وَالْأَيْمَانِ وَالتّدْلِيسِ فِي الْبَيْعِ وَالاحْتِكَارِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، يَسْتَحِلُّونَ بِهِ بَيْعَهُمْ، وَالْفُجُورُ: اسْتِحْلَالُ الْمَعَاصِي وَالْمُحَرّمَات، وَالانْطِلَاقُ فِيهَا، {إلّا مَنِ اتّقَى اللّهَ، وَبَرّ وَصَدَقَ}، أيْ: اسْتَثْنَى النّبِيُّ– صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ– مِنْهُمْ مَنْ يَتّقِي اللّهَ عَزّ وَجَلّ فِي بَيْعِه، فَلَمْ يَغُشّ وَلَمْ يَخُنْ فِي الْبَيْعِ وَصَدَقَ الْمُشْتَرِيَ فِيمَا مَعَهُ مِنْ سِلْعَةٍ، وَكَذَلِكَ فِيمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ أَيْمَانٍ.

–(٢)وَمَا أخْرَجَهُ الْمُنْذِرِيُّ–رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى–فِي التّرْغِيبِ بِرَقَمِ(٣/٣٩) مِنْ حَدِيث عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ شِبْلٍ–رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللّهِ–صَلّى اللّهُ عَلَيْه وَسَلّمَ–:{إنّ التُّجّارَ هُمُ الْفُجّارُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللّهِ أَلَيْسَ قَدْ أحَلّ اللّهُ الْبَيْعَ؟قَالَ: بَلَى وَلَكِنّهُمْ يَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ وَيُحَدّثُونَ فَيَكْذِبُونَ}.

-فعَلَى هَؤلَاءِ التُّجَارِ أنْ يَسْتَجِيبُوا للنّداء:يا بَاغِيَ الشّرّ أقْصِرْ،وتَذكّرْ ما أخْرَجَهُ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى-في صَحِيحه برَقَم(٢٠٧٦)مِنْ حَدِيث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّه-رَضِيَ اللّهُ تعالَى عَنْهُمَا-قالَ:قَالَ رَسُولُ اللّه-صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ-:{رَحِمَ اللّهُ عَبْدًا سَمْحًا إذَا بَاعَ ، سَمْحًا إذَا اشْتَرى ، سَمْحًا إذَا قضَى ، سَمْحًا إذَا اقْتضَى}.،فالرّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمْ الرّحْمَنُ.

-ويَجِبُ عَلَى النّاسِ إرْخَاصُ السِّلَعِ عِنْدَ غَلَاءِ الْأسْعَارِ بِعَدَمِ شِرَائِهَا أوْ إبْدَالِهَا بِسِلْعَةٍ أُخْرَى، مَا لَمْ تَكُنْ مِنَ الضّرُورِيّاتِ،

وَكَذَلِكَ الْبُعْدُ عَنِ التّرَف وَالتّنَعُّمِ،مَعَ كَثْرَةِ الاسْتِغْفَارِ وحُسْنِ الْعِبَادَةِ،والرّضا وَالْقَنَاعَة.

•رَبّنَا آتِ نُفُوسَنَا تقْوَاهَا ،وزَكِّهَا أنتَ خَيْرُ مَنْ زَكّاهَا،أنْتَ وَلِيُّهَا ومَوْلَاهَا،إرْفَعْ عنّا الْبَلَاءَ وَالْوَبَاءَ وَالْغَلَاءَ،وآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينَ.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُمْ وَمُحِبُّكُمْ فِي اللّهِ أبُو أحْمَدَ سَيِّد عَبْدِ الْعَاطِي بْنُ مُحَمّد الذّهَبِيُّ غَفَرَ اللّهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.

صفحة الشيخ علي الموسوعة في الفيسبوك

https://www.facebook.com/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%B3%D9%8A%D9%91%D9%90%D8%AF-%D8%B9%D9%8E%D8%A8%D9%92%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D9%92%D8%B9%D9%8E%D8%A7%D8%B7%D9%90%D9%8A-%D8%A8%D9%92%D9%86-%D9%85%D9%8F%D8%AD%D9%8E%D9%85%D9%91%D9%8E%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%91%D9%8E%D9%87%D9%8E%D8%A8%D9%90%D9%8A%D9%91%D9%8F-110240121309782/?ref=pages_you_manage

صفحة الشيخ وكتبه علي موقع نور

https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D8%B3%D9%8A%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D8%B7%D9%8A-%D8%A8%D9%86-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%87%D8%A8%D9%8A-pdf

الحمد لله رب العالمين

مع تحيات موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية